المحاضرة 4: أثر المعتزلة في النقد العربي

تمهيد:

عرف التاريخ الإسلامي على مر العصور العديد من التيارات والفرق الكلامية ، وخاضوا في عقائد المسلمين وفسروا الدين بالعقل أبرزها كانت "المعتزلة" الذين عرفوا بتغليبهم العقل على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل حسب وصفهم، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرع بذلك. فأصبح للعقل دور هام في البحث العلمي فكان للاعتزال أثر كبير في مجالات المعرفة المختلفة منها الأدب والنقد، فما الاعتزال؟ وما مدى تأثيره على الأدب والنقد خاصة؟.

مفهوم الاعتزال:

لغـة: اعتزل يعتزل اعتزالا تنحى جانبا واعتزل الشيء وتعزله يتعديان بعن تنحى عنه ويقال العزلة عبادة واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم، ومنه قولُه تعالى: وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ [الدخان: 21][1]، أراد: إن لم تُؤمِنوا بي فلا تكونوا عليَّ ولا معي. وعلى ذلك: فالاعتِزالُ معناه: الانفِصالُ والتَّنحّي، والمُعتَزِلةُ هم المُنفصِلونَ.[2]

اصطلاحا: المعتزلة فرقة من الفرق الكلامية الإسلامية التي ظهرت بداية القرن الثاني للهجرة وازدهرت في العصر العباسي،فهي فرقة دينية انشطرت عن مذهب أهل السنة، اعتمدت على العقل في مناقشة قضايا العقيدة، وقالوا بأن العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي، وقد ظهرت هذه الفرقة إثر مخالفة واصل بن عطاء لأستاذه الحسن البصري أحد التابعين المشاهير الثقات، طُرد واصل بن عطاء من مجلس (أو اعتزل)،بسبب قوله المنزلة بين المنزلتين فكان سبب تسميتهم بالمعتزلة ؛لأنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم

---

[1] – لسان العرب ص2930 (عزل).

[2] – القاموس المحيط)، للفيروزآبادي ،ص: 1031

هذا، بعدما اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، شكّل حقلة خاصة به وقول الحسن: "اعتزلنا واصل".والاعتزال يقوم على أصول خمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد كان للمعتزلة الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام وعلم البلاغة وعلم الجدل والمناظرة.

- **أثر المعتزلة والنقد الأدبي:**

وقد كان للمعتزلة الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام وعلم البلاغة وعلم الجدل والمناظرة. التي اعتمدت كأساس في النقد الأدبي. كل الدراسات تؤكد أن أثر الثقافات الأجنبية في المعارف العربية خلال القرون الهجرية الأولى، كان عميقا في مختلف مجالات الحياة الأدبية والفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها..والمعتزلة أكثر الفرق المذهبية الدينية شغفا بتلك الثقافات،من فلسفة ومنطق وقصص، موظفين كل ذلك في جدلهم ومناظراتهم لخصومهم، وفي إبداعاتهم الأدبية من شعر ونقد وخطابة...

- **بشر بن المعتمر** : رأس معتزلة بغداد، وواحد من أبرز أدبائهم المعروفين ومن نماذج أدبهم التنظيري. له وزنه ومكانته في أدب المعتزلة، فهو صاحب الصحيفة المشهورة التي وضع فيها القواعد الأساسية لعلم البلاغة العربية، وكانت بمثابة دستور يمشي الذي لايمكن أن يستغني عنه الكاتب والقارئ، فقد كان المعتزلة حريصين على تعلم كل ما يمكّنهم من التفوق والظهور في ميادين البلاغة والبيان. وقد أثبتها الجاحظ في (البيان والتبيين) مع تعليقات وشروح عليها وتحليلات لها، وكذلك نقل مقاطع منها صاحب (الصناعتين)، و(العمدة).

- **الجاحظ:**

يعدّ من أساطين الأدب العربي وهو من كبار كتاب المعتزلة، ومن المطلعين على كتب الفلاسفة، وأشهر متكلّميها، فما خلّفه الرجل من آثار ومؤلّفات تجسّد بوضوح جميع النزعات

والاتجاهات الإعتزالية. فكان كما يقول عنه الشهر ستاني من فضلاء المعتزلة مطلها على الكثير من كتب الفلاسفة، كما تتجلى قدرته في عرض الحقائق والظواهر العلمية بأسلوب أدبي رائع وعبارات بليغة وحسن براعته اللطيفة : إذ له قدرة فائقة على عرض الفكرة ومعالجتها، وهو دائماً يذهب من المقدّمات إلى النتائج، ومن الخاصّ إلى العام، متّبعاً طريق الجدل المنطقيّ، جامعا بين الفكرة والطرفة، ليوصلها للعامة فضلا عن الخاصة، لغته بسيطة لكنها معبرة. أسهم الجاحظ كثيرًا في تطوير البلاغة ووضع أسسها كما كانت له تصانيف كثيرة أشهرها الحيوان والبيان والتبيين اللذين تناول فيهما كثيرًا من القضايا النقدية كقضية اللفظ والمعنى، فالعناية باللفظ يمكن عدّه من مظاهر الكتابة عند الجاحظ ومن تلاه من أنصار الصنعة خلال القرون الأولى الموالية لعصر الجاحظ ، إلى جانب ذلك قضية الخطابة والطبع والصنعة والدراسات القرآنية والسرقات الأدبية وغيرها.

- **الناشئ الأكبر:**

كان شاعرًا متكلمًا نحويًا عروضيًا عاش فترة من حياته في بغداد ثم هاجر إلى مصر وتوفي فيها سنة 293هـ قال عنه أبو خيان التوحيدي: "وما أصبت أحدا تكلم في نقد الشعر وترصيفه أحسن مما أتى به الناشئ المتكلم وان كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره، وله مذهب حلو وشعر بديع واحتفال عجيب"[3] .

والمقاييس البلاغية عند المعتزلة تقوم على عاملين كبيرين:

- البلاغة عنصر هام في الاقناع، والاقناع غاية الجدل الكلامي.
- إيمان المعتزلة –رغم دراساتهم للثقافات الأجنبية وتأثرهم بها– ان الشعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها.

- **الرماني:**

[3] – تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص63–64.

من كبار المعتزلة عالم نحوي بغدادي له أراؤه في البلاغة والنقد فهو يحدد أقسام البلاغة: الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان.

وعن أغراض الشعر يرى أن للشعر خمسة أغراض: النسيب والمدح والهجاء ولفخر والوصف[4]

والرماني من النقاد الذين يميلون إلى الوضوح في الشعر، ويرى أن أسباب الغموض هي: التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبهه وسلوك الطريق الأبعد والإيقاع المشترك[5]

- **المزرباني:**

تناول في كتابه "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء" جملة من آرائه النقدية كما جمع أراء العلماء في الشعراء وكان هدفه من الكتاب "أودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده وأمكن جمعه وقرب متناوله من ذكر عيوب الشعراء التي نبه عليها أهل العلم وأوضحوا الغلط فيها من اللحن والسناد والايطاء والاقواء والاكفاء والتضمين والكسر والإحالة والتناقض واختلاف اللفظ وهلهلة النسج وغير ذلك من سائر ما عيب على الشعراء قديمهم ومحدثهم يقول: "خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر، وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية[6].

---

[4] – العمدة 108/1.

[5] – نفسه 270/2.

[6] – الموشح ص44.